نحن والنظام الدولي الجديد

رئيس التحرير

منذ عقدين من الزمان تتصاعد الدعوات الى نظام دولي جديد، وأصبحت الدعوة جادّة بعد انهيار الكتلة الشرقيّة، وأخذت الدوائر السياسية والفكرية والاعلامية تتحدث عن ملامح هذا النظام وضرورته لاعادة الترتيبات التي كانت قائمة سابقا على نظام القطبين.

والحديث عن نظام جديد يجب أن يسود العالم له جانب إيجابي، لانه يعبّر عن الاحساس بسوء النظام الدولي الحالي وبضرورة تغييره ليواكب مسيرة التطور الحضاري، خاصة في ظل ثورة الاتصالات التي جعلت من الكرة الارضية قرية

صغيرة.

لكن حديث زعمـاء الفكر والسياسة في العالم الغربي عن هذا النظام الجديد لاينطلق من قيم إنسانية، بل من نفس الـروح التسلطية الاستكبـارية التي أَلِفها العالم الاسـلامي منـذ قرون في تعامله مع الغربيين والاميركيين، مع فارق هو أن حديثهم هـذه المـرّة فيـه لـون من الصراحة في التحدّي، والغرور في المواجهة، والتفرّد في المجابهة.

وليت الامـر اقتصـر على الحديث، فالممـارسـات العملية تشهـد أن القضية خـرجت من الاطار النظري لتفرض نفسها على المنظومة الاسلامية بشكل سافر في المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية والامنية والاجتماعية.

إن العـالم الغربي أعلن حـالة حـرب على العـالم الاسـلامي تحت عنـوان مايسمى بصـراع الحضارات، ووضع لهذه الحرب خطة عمل تتلخص في استنزاف المسلمين عن طريق استغلال النزاعات والخلافات بين أجزاء العالم الاسلامي.

نحن إذن أمـام خطة لـرسم حدود دامية بين المسلمين، وأمام تنفيذ حقيقي نـراه بـأم أعيننـا. فمـا الذي يفرضه علينا الواجب الاسلامي تجاهها؟ إننا في واقع مـؤسف يجب أن يـزول، هذه حقيقة بدأ يرددها كل من يهتمّ بمستقبل الامة، وكل الحريصين على أن تأخـذ المنظـومة الاسلامية مكانتها اللائقة على الساحة العالمية في ظل النظام الدولي الجديد.

وفي الاستطـلاعـات التي تجريهـا الصحافة الاسلامية حول النظام العالمي الجـديـد ومـا ينطـوي عليـه من تحديـات للعـالم الاسـلامي، نجـد كل العلمـاء والمفكرين يوجهـون سهـام النقد أولا الى نفس العالم الاسلامي قبل أن يوجهوها الى الغـرب المستكبـر، لأن من لايحتـرم نفسـه لايحتـرمـه الآخـرون، ومن لايقيم لشخصيتـه وهويته وزنا ليس له وزن في أنظار الآخرين. منهم من وضع إصبعه على

مكمن الداء، وهو داء التفرقة المذهبية الذي يعنينا في أمر التقريب وقال: «لقد غاب مفهوم الامة الواحدة، وتحولت دولة المسلمين الى دويلات.. واستتبع هذا تمزق لرؤى الدين.. ولا أقصد اختلاف الأئمة والمذاهب. فهذا رحمة وخير، وانما أقصد ما أصيب به العلماء والفقهاء من عاهة الاقليمية، فأصبحت رؤاهم ومواقفهم لاتمثل الاسلام بمقدار ما تمثل رؤى أقاليمهم، واهتمامات حكامهم... وأثمر هذا الوضع ثمرته المرة حين انكشف ما في جسد الامة من تمزّق أمام أعدائها والطامعين فيها، فدخل المسلمون في مرحلة ما اسميه (الفتنة الكبرى) التي لم يعد فيها أمرهم بيد أبنائهم بمقدار ما كان بأيدي الآخرين الذين استطاعوا أن يظفروا بولاء هذا وتبعية وحماية ذاك..» ثم دعا الى مؤتمر خاص للعلماء والفقهاء والحكماء يتدارسون فيه كيفية استعادة دورهم المفقود في قيادة الامة.[1]

الاحساس بضرورة تغيير وضع المسلمين أصبح عاما، والترتيبات الدولية الجديدة صعّدت من أمر هذه الضرورة وجعلتها مسألة حياة أو موت. والتغيير كما ورد في الشهادة المنقولة يجب أن يبدأ من تحرر إرادة علماء الامة كي يأخذوا مكانتهم القيادية، في بداية لابدّ منها لكي تستعيد الامة كامل هويتها وتتحرك على طريق أهدافها، وتكون لها الكلمة المسموعة بين العالمين.

لايمكن لعالمنا الاسلامي وهو في هذه الحالة المزرية أن يتوقع رحمة وانصافا من القوى المهيمنة. عمليات الاذلال وسحق بقايا الهوية واللعب بالمقدرات والاستهانة بالكرامات وإثارة الخلافات واخماد الصحوة ستستمر بشدّة ودون هوادة ما لم تقتنع القوى المتجبّرة بأنه لابدّ من محاورة المسلمين لا مصادمتهم والمنطق المادّي للاقوياء يفرض عدم محاورة الضعيف، بل محاورة

(١) صحيفة العالم الاسلامي ٢٠ ذي الحجة ١٤١٥ والكلام المنقول عن الدكتور عبدالصبور مرزوق.

القـوي. وهـذه حقيقة تؤيـدهـا طبيعة الفكـر المـادي، كما تؤيدها شواهد التاريخ. قوتهم في بطشهم وسيطرتهم وتجبـرهم وتفـرعنهم، وقوتنـا في اتحـادنـا ووحدة كلمتنـا وتمسكنـا بحبل اللـه. وهي قـوة تستلـزم ارتفـاع إرادة قـادة الأمة لتتجاوز الذاتيات والاقليميات.. ولتكون على مستوى الاهداف الرسالية العليا.. عندئذ فقط يمكن للعـالم الاسـلامي أن يشـارك في رسم مشروع النظام العالمي الجديد، أو أن يأخـذ مكانـه المنـاسب، على الاقل، في المجمـوعة الدولية. وعسى أن يكون ذلك بأذن الله قريبا.